**الأدب ووسائل التواصل الاجتماعي**

**عن الكتاب**

يناقش هذا الكتاب تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على النص الأدبي العربي في مستوياته الثلاثة: المضمون، الشكل، واللغة. وقد قمنا بتقسيم الكتاب إلى ثلاثة فصول، يعنى كل منها بأحد هذه المستويات بشكل موسع وذلك على النحو التالي:

**الفصل الأول**: تناولنا فيه النصوص الأدبية التي تلعب فيها وسائل التواصل الاجتماعي دورًا أساسيا على مستوى المضمون. وقد أطلقنا على هذا النوع من النصوص مصطلح "**أدب وسائل التواصل الاجتماعي**" وذلك قياسًا على مصطلحات أدبية شبيهة، مثل "أدب الحرب"، "أدب المقاومة"، "أدب الانتفاضة"، "أدب الربيع العربي"، وغيرها من المصطلحات التي تعكس مضمون النّص.

وما قادنا إلى البحث في هذا الموضوع، هو أن وسائل التواصل الاجتماعي قد غزت حياتنا بشكل كبير جدًا في العقود الأخيرة، إلى درجة أنها أصبحت عالما موازيا قائمًا بحدّ ذاته، نلتقي فيه بأشخاص من بلاد وثقافات مختلفة، نتبادل معهم الحديث والمعلومات الشخصيّة، وأصبح لكل شخص سلسلة من الأصدقاء "الافتراضيين". كما أتاحت هذه الوسائل للناس الفرصة لبناء الكثير من العلاقات فيما بينهم ضمن أطر مختلفة، منها العائلية ومنها في مجال العمل، أو بين ممارسي الهوايات المختلفة. بل وأصبح البعض يعتمدها لبناء علاقات رومانسيّة وللتعارف والزواج. وأصبحت الصلة الإلكترونيّة بين الناس بديلة عن الزيارات واللقاءات على أرض الواقع. باختصار، أدّت هذه الوسائل إلى إحداث تغييرات هائلة في نمط حياتنا وثقافتنا، وأثّرت على طرائق تفكيرنا، وعلى منظومة قيمنا، وانتقلت بنا من العيش في عالمنا الواقعي إلى العيش في عالم افتراضيّ يظل موجودًا حتى بعد أن نغلق حواسيبنا.

ولأنّ الأدب من منظور المدرسة الواقعية هو مرآة العصر، والأديب هو الضمير المعبّر عن أفكار شعبه وعن ثقافته وهواجسه وأحلامه، يعكس قضاياه ويعنى بشؤونه، فإنه من الغباء أن نعتقد ألا يتأثر الأدب بالتغييرات التي فرضتها وسائل التواصل الاجتماعي على حياتنا كأفراد وكمجتمعات. لذا كان من الطبيعي أن تشكل هذه الوسائل باختلاف أنواعها مصدر إلهام للمؤلفين، وأن تتحول إلى الموضوع الرئيس لنصوصهم.

إن العدد الكبير الذي وجدناه للنصوص التي تناولت موضوع وسائل التواصل الاجتماعي، يعبر عن انتقال مضموني في الظاهرة الأدبية المعاصرة جدير بالبحث والتأمل. ما دفعنا إلى طرح جملة من الأسئلة حاولنا تتعلق بـ"ادب وسائل التواصل الاجتماعي"، مثل: ما هي الموضوعات والثيمات التي تكرّرت في أدب وسائل التواصل الاجتماعي؟ كيف تعامل المجتمع العربي مع هذه الوسائل، ما مدى تقبله لها أو تحفظه عليها؟ وهل طرأ تغيير في كيفية تعامل المجتمع مع هذه الوسائل منذ بدء انتشارها حتى يومنا هذا؟

وقد حاولنا الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال تحليل نماذج أدبية مختلفة. فحلّلنا العديد من النصوص التي كتبت على مدار عشرين عامًا (2016-1996)، تمثل بالتقريب الفترة التي بدأت تتغلغل فيها وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي حتى يومنا هذا.

وجدير بالذكر، أننا اخترنا نصوص هذا الفصل بعناية فائقة بعد أن قمنا بعملية غربلة دقيقة، حرصنا من خلالها على مراعاة جوانب عدّة، منها جودة النصوص من الناحية الجمالية الفنيّة، وتنوعها الأجناسي، فأدرجنا أجناسًا أدبية مختلفة كالقصص والقصائد والروايات. كذلك حرصنا على مراعاة التمثيل الجندري من ناحية، والتمثيل الجغرافي لمختلف الأقطار العربية من ناحية أخرى.

بالاعتماد على نتائج الدراسة، وجدنا أنّ النصوص الأدبية استطاعت بالفعل أن ترصد التحولات الكبرى التي طرأت على طريقة تعامل المجتمع العربي مع هذه الوسائل عبر الفترات الزمنية المختلفة. حيث عبّرت معظم النصوص التي كتبت في أواخر التسعينيات حتى نهاية العقد الأول من الألفية الثالثة، عن القلق والخوف من هذه الوسائل وما يمكن ان تسببه من أضرار نفسية واجتماعية من ناحية، عن الدهشة والإثارة لما حققته هذه الوسائل على مستوى التواصل وتبادل المعرفة ونشر الأفكار بين سكان المعمورة. ومع بداية العقد الثاني من الألفية الثالثة ظهر توجه آخر لدى الأدباء حيث ظهرت بعض النصوص التي راحت تتعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي بوعي أكبر، فتجاوز الأدباء مرحلة النقد واللهفة، وبدأوا يتعاملون مع هذه الوسائل بشكل إبداعي خلاق، فخاضوا في نقاشات فلسفية هامة، مثل مسألة القيم، كما بينوا قدرة هذه الوسائل على النهوض بالمجتمع وتغييره نحو الأفضل إذا ما تم استخدامها بشكل صحيح.

**الفصل الثاني:** لم يقتصر تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على مضمون الأدب، بل شمل شكله ومبناه أيضا. لذلك خصصنا هذا الفصل للبحث فيما اسميناه بـ"الأدب عبر وسائل التواصل الاجتماعي"، وقصدنا به مجمل النصوص الأدبية التي اتخذت من وسائل التواصل الاجتماعي وسيلة لها، فكتبت ونشرت فيها ومن خلالها. بكلمات أخرى تناولنا في هذا الفصل النصوص الأدبية التي نشأت وترعرعت في رحم وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، بغض النظر عن مضمونها. وبما ان هذه النصوص كتبت في الأساس لتنشر إلكترونيًا عبر إحدى قنوات وسائل التواصل الاجتماعي، فقد خضعت لشروط النشر الالكتروني واستفادت من إمكانياته، كما أنها تأثرت بصفات الوسيلة التي نشرت من خلالها، فكانت النتيجة أن حملت هذه النصوص صفات وراثية جديدة، واكتسبت ملامح مستحدثة من حيث الشكل والمبنى.

وعليه، فقد حاولنا في هذا الفصل ان نجيب عن عدة أسئلة أبرزها: كيف أثرت وسائل التواصل الاجتماعي على الأجناس الأدبية المختلفة من حيث الشكل؟ وهل ظهرت أجناس أدبية جديدة على وسائل التواصل الاجتماعي لم نعرفها من قبل؟ وإلى أي مدى يمكن الاعتراف بشرعية الأدب المنشور على هذه الوسائل؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة فقد قمنا بتحليل العديد من الأجناس الأدبية المنشورة على وسائل التواصل الاجتماعي، فوقفنا على أهم التغييرات التي طالت ملامحها الخارجية، وبينا الصفات الجديدة التي اكتسبتها نتيجة لظهورها عبر هذه الوسائل واستثمارها للإمكانيات التكنولوجية التي يتيحها النشر الإلكتروني. وبما أن إمكانيات الاختيار في هذا الفصل قليلة مقارنة بنصوص الفصل السابق، فلم نتبع المعايير نفسها في اختيار النصوص، وإنما اضطررنا في حالات كثيرة الوقوف على ما هو متوفر بين أيدينا فقط، فنتج عن ذلك تفاوت في عدد النماذج المختارة في كل بند.

وجدير بالذكر أننا قسمنا هذا الفصل إلى عدة أبواب تناولنا في كل باب جنسًا أدبيّا معينًا، وهي على التوالي: باب الرواية، باب القصة القصيرة، باب الشعر، وباب السيرة الذاتية. بقي أن نشير إلى أننا وقفنا على النصوص الأدبية المنشورة عبر وسائل التواصل الاجتماعي الأكثر رواجًا واستعمالا في نقل التجربة الإبداعية الأدبية، وهي: فيس بوك، تويتر، يوتيوب، انستجرام، واتس أب، المدونات والمنتديات.

وقد تبين لنا من خلال الدراسة أنّ الأجناس الأدبية المنشورة على وسائل التواصل الاجتماعي حافظت على صفاتها الأساسية التي عُرفت بها ضمن المؤسسة الأدبية من ناحية، والدليل أنّنا ما زلنا نقول عنها "رواية" و"قصة" و"قصيدة"، ولكنها من ناحية أخرى، اكتسبت صفات وراثية جديدة على مستوى الشكل والبناء نتجت عن إمكانيات الوسيط الذي أفرزها. ومن هذه الصفات استخدام المؤثرات البصرية والصوتية ودمج لقطات الفيديو، وميل النصوص إلى القصر، وتقسيم النص إلى أجزاء أو مقتطفات بدلا من عرضه كاملا، وتداخل الأنواع في الجنس الواحد، وغير ذلك.

وللتمييز بين الأجناس الأدبية بشكلها التقليدي والأجناس الأدبية بشكلها الجديد على وسائل التواصل الاجتماعي، فقد أُلحقت أسماؤها بكلمات وزوائد معينة، غالبًا ما تشير إما إلى التقنية الجديدة الموظفة فيها مثل "القصة الترابطية" أو "قصيدة الفيديو"، وإما إلى الوسيلة التي تظهر من خلالها، مثل "رواية الفيس بوك"، "القصة التغريدة"، "رواية المدونات" وغيرها.

معنى ذلك أن نشر الأدب عبر وسائل التواصل الاجتماعي أدى إلى رسم خريطة جديدة لجماليات النص الأدبي، وفرض معايير خارج أدبية للتمييز بين الأجناس الأدبية المختلفة، بحيث تمثّل التقنيات وسائل التواصل الاجتماعي أهم هذه المعايير.

كذلك وجدنا أن الكتّاب العرب لم يستثمروا التقنيات التكنولوجية المتاحة ولم يستفيدوا من خصائص وسائل التواصل الاجتماعي لتقديم عمل إبداعي مبتكر ومستقل وقائم بحد ذاته، أي لا وجود له من قبل ولم يتطور عن الأجناس الأدبية التي ألفناها في العصر الورقي.

أما فيما يتعلق بشرعية الأدب المنشور على وسائل التواصل الاجتماعي فقد لاحظنا وجود تفاوت في المستوى بين النصوص المختلفة. فمنها ما هو رصين وجاد، ومنها ما اتسم بالركاكة والسطحية وذلك لأن الكثير من كتّاب الأدب على وسائل التواصل الاجتماعي هم من الهواة التي لم تصقل مواهبهم الإبداعية بعد، ويحتاجون إلى وقت طويل حتى يرقوا بنصوصهم إلى المستوى الأدبي المطلوب، مما جعل بعض النقاد يتعاملون مع كتاباتهم باعتبارها أدب غير رسمي.

* **الفصل الثالث:** تطرقنا في هذا الفصل إلى "**تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على لغة النص الأدبي**"، فحاولنا أن نرصد الظواهر اللغوية والأسلوبيّة الجديدة التي غزت النصوص الأدبية في ظلّ هيمنة وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك من خلال تحليل عدد كبير من النماذج الأدبية، ومن ثم ناقشنا الأبعاد المختلفة لهذه الظواهر.

بالاعتماد على نتائج الدراسة وجدنا من أن الظواهر اللغوية الأبرز في نصوص أدب وسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك في النصوص المنشورة عبر هذه الوسائل، هي:

* استعمال ثروة لغوية جديدة مأخوذة من عالم الشبكة العالمية
* توسيع الحقل الدلالي لبعض ألفاظ الشبكة
* استعمال اللغة الإنجليزية
* الكتابة باللغة العامية (المحكية)
* الثراء الطباعي الناتج عن استخدام لوحة المفاتيح في الكتابة
* شيوع الأخطاء اللغوية بسبب غياب الرقيب
* اللجوء الى الكتابة المختصرة لاعتبارات مختلفة منها ما يتعلق بحجم الشاشة
* توظيف التقنية باعتبارها لغة تعبيرية

وقد خلصنا في هذا الفصل إلى الاستنتاج بأن المشهد اللغوي للخطاب الأدبي على وسائل التواصل الاجتماعي يتسم بمزايا عديدة، ينظر إليها بعض النقاد بشكل سلبي فيما ينظر إليها البعض الآخر على أنها أمر طبيعي في السيرورة التطورية للغة. مما يعني أن هذا المشهد يتأرجح بين تيارين فكريين، الأول يسعى لمحاربة هذه المزايا التي يراها تحط من مكانة النص الأدبي وتقوده نحو الركاكة والانحطاط. والثاني، يسعى إلى تأسيس خطاب أدبي جديد يحمل جينات وراثية جديدة اكتسبها نتيجة نشوئه وتبلوره في رحم التكنولوجيا والقرية العالمية. وبين هذا وذاك حرب لا نعرف نتائجها، ولا يمكننا التنبؤ فيها ما دام التياران يعملان بشكل منفصل ويحاول كل منهما عبثا جذب الآخر إليه.

* **منهجية الكتاب**

لقد التزمنا في هذا الكتاب بالمنهج الوصفي بشكل عام، إلى جانب استخدامنا للأدوات التاريخية، وبعض الأدوات المحدودة التي تطلبتها جزيئات المعالجة كالمقارنة، والأسلوبية.

* **أهميّة الكتاب وتميّزه مقارنة بدراسات سابقة**

تكمن أهمية هذا الكتاب وتميزه عن غيره من الكتب التي صدرت في هذا المجال في عدة جوانب، أهمّها:

* إنه الكتاب الأول والوحيد الذي يميز بين نوعين من النصوص الأدبية ذات العلاقة بوسائل التواصل الاجتماعي: نصوص تعاملت مع هذه الوسائل باعتبارها غاية، ونصوص تعاملت معها باعتبارها وسيلة.
* طرح الكتاب مصطلحا جديدا هو "ادب وسائل التواصل الاجتماعي"، والذي يعبر عن انتقال مضموني في الأدب، راح يتشكل منذ بداية الألفية الثالثة. وهو أول كتاب تناول هذا الموضوع.
* إنه أوّل كتاب يسلط الضوء على الخطاب الأدبي العربي في ظل وسائل التواصل الاجتماعي بشكل بانورامي يشمل المستويات المختلفة للنص الأدبي (المضمون، الشكل، واللغة) ويعالج كلا منها بشكل موسع ومستفيض، كما ويشمل عدة أجناس أدبية. فبالعودة إلى دراسات سابقة، نجد أن غالبية هذه الدراسات، إما تركز على مستوى واحد من مستويات النص، أو تقتصر على معالجة جنس ادبي واحد. ففي كتاب "نظرية الأدب الرقمي في مواقع التواصل الاجتماعي" (2018) لإبراهيم ملحم على سبيل المثال، يتطرق الكاتب إلى عدد قليل جدا من الأجناس الأدبية على وسائل التواصل الاجتماعي- مقارنة بعدد الأجناس التي وقفنا عليها نحن- ويحللها على مستوى الشكل فقط دون ان يخوض في تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على لغة النص ومضمونه. أما كتاب "الإنترنت وشعرية التناص في الرواية العربية المعاصرة" (2018) لمحمد هندي، فإنه يقتصر على تناول تأثير وسائل التواصل الاجتماعي في جنس أدبي واحد هو الرواية.

* معظم الدراسات النقدية سواء العربية أو الغربية التي تناولت الأشكال الجديدة للأجناس الأدبية على وسائل التواصل الاجتماعي، تناولتها باعتبارها شكلا من أشكال الأدب الرقمي. ولذلك نجد أن غالبية هذه الكتب تناولت النصوص التي اعتمدت على توظيف التقنية، فركزت على تحليل جماليات التقنية وتأثيرها على المتلقي، كما هو الحال في كتاب Literature and Social Media (2020) لمؤلفه Bronwen Thomas ،وكتاب "السردية الرقمية" (2017) لوهيبة صالح، ومقالة "السرد والتكنولوجيا: تحولات الشكل والمضمون" (2019) لأحمد الرحاحلة وجميل الحياري وغيرها. أما كتابنا هذا فقد تطرقنا فيه إلى أجناس أدبية تعتمد على التقنية وأخرى لا تعتمدها، في محاولة لرصد مختلف الصفات الشكلية الجديدة التي ظهرت في الأجناس الأدبية بعد انتقالها من النشر الورقي إلى النشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي، دون الخوض في تقديم تحليل فني لهذه الصفات، إلا بالقدر الذي يسهم في إبرازها. والهدف من ذلك رصد الظاهرة وليس تحليلها، مما يسهم في بناء قاعدة عريضة تسمح للباحث بتتبع مجمل التغييرات والتحولات التي طرأت على كل جنس من الأجناس الأدبية بانتقاله من الورق إلى وسائل التواصل الاجتماعي، ومن ثم وضعها في إطار واحد.
* يفتح الكتاب المجال لدراسات مستقبلية في مجال الأدب المقارن، فنشر الكتاب باللغة الإنجليزية سيساعد كتاب من مختلف الثقافات للخوض في دراسات مقارنة بين الأدب العربي وبقية الآداب في علاقتها بوسائل التواصل الاجتماعي.